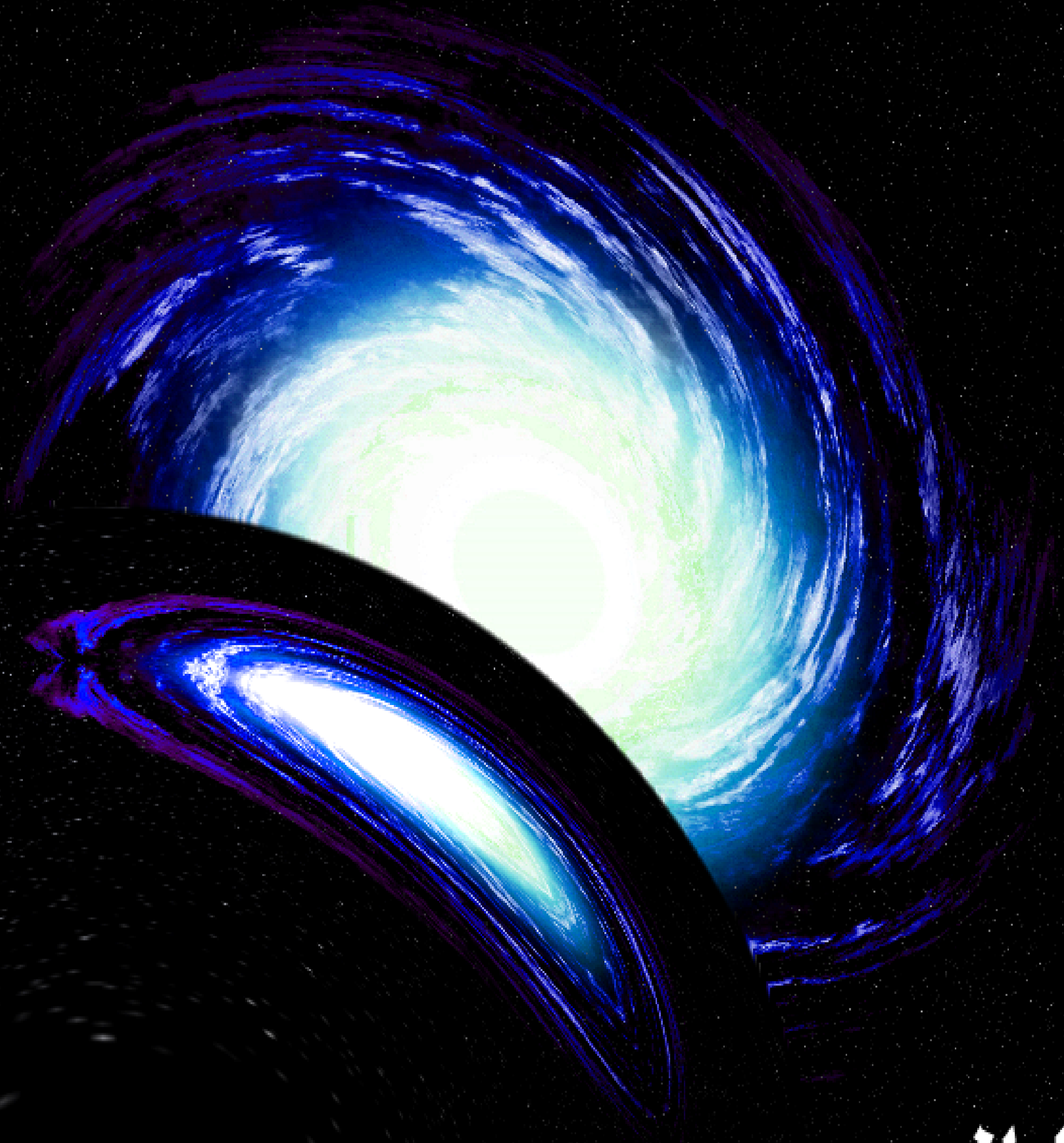

مرايا الوجود

المكتبة الكونيّة

د. لام

منذ قرون خلت كانت مدينة كرونا مزدهرة والآن تنسج الأساطير حول خرائبها وكيف كانت وجهة لحجاج ما يسمى "مرايا الوجود".

- "مرايا الوجود" اسم فضفاض وغريب!

سين ليس ضليعاً بعلم الآثار لذا لا يعرف حكاية هذا الاسم، أما سنا فهي الإلهة هنا، في مكان كهذا يكون علماء الآثار آلهة وتلك المساحات القديمة من الأنقاض قصوراً زمرّديّة بالنّسبة لهم.

سين شابّ عادي، لهذا السّبب كان يعبث ببعض الأحجار، في حين كانت عالمتنا الشّابة منهمكة في نفض الخطوط والتعاريج بفرشاتها متوسّطة الحجم.

- تخيّل انّك تقف تحت عمود كان يسند سقف معبد في يوم من الأيام، والآن ذلك العمود لا يسند شيئاً، كلّ شيء استحال أنقاضاً مترامية هنا وهناك بشكل عشوائي. ذلك العمود شامخ وحده تحت سماء غير محدودة بأيّ أفق أو حتى مرسومة الملامح.

نظرت سنا إلى سين الذي نسي الأحجار في يده وهو يستمع بدهشة إلى ما تقوله، رجعت إلى وضعيّتها وواصلت نفض الخطوط بعد أن تأكّدت أنّها استرعت انتباهه.

- إن كان عندنا شيء لا نهائي ولا يملك أيّ معالم فإنّنا سنتوه فيه إلى الأبد. "مرايا الوجود" تمنع مثل هذا التّيه. تقول لفافة مدينة كرونا، والتي وجدنا بعضها فقط بالمناسبة، أنّ الوجود لا نهائي زمانا ومكانا وهذا يجبر أيّة معالم على التّضاؤل ثم الاختفاء في محيط هذه اللانهائية المظلمة. سبعة مرايا موجودة في مكان واحد فقط. هل تعلم أنّ في كلّ زاوية من هذه الأكوان توجد دهاليز تقود إلى كرونا؟

- هل تقصدين تقود إلى كرونا عبر مرايا الوجود؟

نظرت إليه ثمّ ابتسمت، لا أحد في العالم أكثر فرحاً من عالم يجد من يفهم أفكاره ويهتم بها.

- صحيح!

وقفت سنا وهي تنظر إلى الشّكل الذي نفضت عنه الغبار توّاً، أسقط سين الأحجار عندما رأى ما رأته، نظرا إلى بعضهما البعض.

- ما هذا الشّكل؟

نظرت الشّابة إلى الشّكل.

- سبعة مستطيلات، لا يمكن أن تكون هذه هي مرايا الوجود، لا يعقل أن تكون محفورة في الأرض.

- ربّما هذه علامة تميّز صرح المرايا، كأن تكون رمزاً أو لافتة ما تخبرنا أنّ وجهتنا قريبة.

لم تمرَّ لحظات حتى سحب أحد المستطيلات الشّابين، في حين بقيت الأشكال الأخرى خامدة.

كان المكان الذي سُحب إليه الاثنان هادئاً، متاهة عظيمة من الرّفوف، لا يمكنك أن ترى أي شيء يشبه النّهاية. إن كنت في بقعة ما من هذا المكان فإنّ أي مكان آخر ستسدل عليه الظّلمة، ولو نظرت إلى السّقف فسترى أشباح نوافذ مستطيلة لكنّها مقعّرة إلى ما لا نهاية، يوحي تقعّرها أنّها محفورة في قبّة ما. ما يمكنك رؤيته من خلال تلك الأشياء غريب، خطوط مقوّسة من الضوء.

استيقظت سنا وراحت تنظر حولها، لم يتعرّض حسّها الأثري لفقدان الوعي كما حصل لها هي. هذا المكان بائد. قامت من مكانها ومشاعرها مشتعلة، حنين ووحشة وأحاسيس أخرى مبهمة.

أفاق سين على منظر مذهل، جدران طويلة غير منتظمة تنتهي إلى السّواد، لكن ذلك السّواد تقطعه أضواء مقوّسة. نظر إلى مرافقته التي شدّها كلّ شيء في المكان.

- رائحة هذا المكان غريبة، أين نحن يا ترى؟

- لا أدري، لكنّ هذا المكان ضائع في الزّمن!

- ما الذي يجعلكِ تقولين هذا؟

شيء ما أصدر ضوءاً في أحد الأركان، ثمّ بدأ بالتّحرّك نحو الزائرين.

- هذا لا يصدّق! زوّار! لقد قيل لي أنّ كلّ الممرّات تعرّضت للتّدمير، حبّاً في كلّ ما تبقى أخبراني كيف جئتما إلى هنا؟

لم يجب أحد منها هذا الكيان. لقد برقت ذكرى قديمة في رأس سين عن والده وهو يخبره أن لا يتكلّم مع الغرباء.

- مهلا، هل تعرّضت المكتبة إلى شيء ما؟

سيل كبير من الغرابة. لم يستطع دماغ سنا أن يعالجه كلّه، لكنها كانت دائماً تعلم أنّ السّبيل إلى فكّ معضلة ما هو البدء بطرح سؤال جيّد أوّلاً.

- هذه... مكتبة؟

أسلوب طرح ضعيف لهذا السّؤال، لكنه سؤال جيّد. من يلومها فلا هي ولا زميلها يعرفان ما يحصل أصلاً.

- نعم، هذه مكتبة، من البديهي الآن أنّكما هنا عن طريق الخطأ. هذه المكتبة الآن وجهة لا رجوع منها. سأفترض أنّكما لا تعرفان موقع هذه المكتبة الآن –وهذا ما يبدو عليه الحال فعلاً- لكن قبل هذا سأعرّفكما بنفسي. أنا جامع معارف وهذه مكتبتي التي عُزلت عن الوجود مثل باقي الوجود نفسه الذي عُزلت أجزاؤه عن أجزائه.

والآن، أصبح كلّ شيء عصيّاً على الإستيعاب. مازالت سنا تحاول فكّ هذه الأحجية التي أثارت سؤالاً في دماغ سين.

- نقطة لا رجوع؟ لماذا؟

يبدو أنّ الكيان يحب الأسئلة، شأنه شأن الثرثارين.

- كما قلتُ قبلاً، المكتبة معزولة عن الوجود لأنّ الممرات المؤديّة لها تعرّضت للتّدمير، إنّها الآن لا تتواجد في أيّ مكان ولا تتواجد في أيّ زمان أيضاً. السّبيل الوحيد إلى أيّ شيء مألوف بالنسبة لنا كان ما يسمّيه الجميع بمرايا الوجود.

بالنّسبة إلى العلماء صعوبة فهم شيء ما أو غموضه يقود إلى مزاج عصبي في العادة. التّوازن مطلوب بين الألغاز ومعقوليّة إمكانيّة حلّها.

- هل نحن داخل ثقب أسود؟

بالتّأكيد! هذا منطقي، لا زمان ولا مكان وتشوّه في المكان. لكن ما يبدو منطقيّاً لا يكون صحيحاً بالضّرورة.

- لحفظ هذا الكمّ الهائل من المعرفة يتطلّب الأمر مساحة كبيرة، ولتقليل حجم المساحة المطلوب توجّب ضغط المعرفة التي توجد هنا إلى إثنا عشرة مرفوع مليون من الحجم الحقيقي. بعد الضّغط أمكننا إنشاء هذه المكتبة التي تبلغ مساحتها في كلّ اتّجاه مائتا ألف سنة ضوئيّة.

قام الكيان بالإشارة إلى جانب مظلم عشوائي من المكتبة

- ما تريانه الآن لا يمكنكما الوصول إلى نهايته، أبداً!

مائتا ألف سنة ضوئية مسافة كبيرة قليلاً حتّى بالنّسبة إلى بشري... من أخدع! هذه المسافة مستحيلة! فقط تخيّل أن المكتبة فيها محتويات غير مضغوطة؟ بالطّبع لا يمكنك أن تتخيّل! وهذا بالضّبط ما حدث لأدمغة الزّوار، عطل شامل.

نظراتهما سكرانة، لا يمكن لدماغ شخص عادي أن يؤدّي وظائفه المعتادة إن كان يحاول فهم شيء بالغ الضّخامة والتعقيد، كلّ ما يمكنك الحصول عليه هو نظرة بلهاء يتسبب فيها الدماغ كأثر لا محيد عنه لحمّى معالجة البيانات.

الكائن لا يهتم لما يحصل، من المرجّح، أو ربّما من المؤكّد انّه قد ألف تلك النّظرات البلهاء عندما كانت الممرّات سليمة وينساب الزّوار منها كالسّيول.

- بعيداً عن المسائل التّقنيّة، يمكنكما قراءة ما تريدان من المكتبة طالما أنّكما على قيد الحياة. كلّ وحدة من وحدات المعرفة موجودة في حيّز يمكنه التّرجمة لكلّ اللّغات في الأكوان المعروفة. يمكنني أن أقترح عليكما أحسن عشرة وحدات معرفية موجودة في هذا القطاع. نسيت أن أقول أنّ

المكتبة مقسّمة إلى قطاعات ليسهل جرد محتوياتها، كلّ قطاع لديه مساحة محدّدة، ثلاث دقائق ضوئية مكعبة. كلّ قطاع لديه ما لا يقلّ عن ثلاثين ترليون وحدة معرفيّة مضغوطة، هناك قطاعات لا أحد يتمكّن من الوصول إليها بسبب مشكلة بسيطة تسبب بها الضغط فوصلت الكتلة إلى حدّ حرج، تحتوي هذه القطاعات على ثمانية كوينتليون وحدة معرفية كأقلّ تقدير. على أيّ حال! دعونا نتكلّم عن أفضل وأكثر عشرة وحدات قراءة هنا.

- "متركمج اللانهاية"

- "8"

- "هناك حافة". كثُر قرّاء هذه الوحدة لكنني أجده غير منطقيّاً

- "مغامرات في الغشاء الكوني المجاور"

توجّهت سنا إلى أحد الرّفوف وسين يتبعها، كأنهما لم يسمعا ما قاله الكيان.

- أنتما لم تسمعا ما قلته، صحيح؟

- كيف يمكن ترجمة هذه الوحدات؟

بدا على ملامح الكيان شيء من الرّضا فهو يحب طرح الأسئلة.

- الحيّز يعرف تماماً من يقف بقربه فيقوم بتحويل محتويات الوحدات إلى لغة ذلك الكائن.

- ماذا لو كان الكائن جديداً ولغته غامضة؟

- عندها يُبقي الحيز على اللّغة الأصلية.

نظر سين إلى أحد الوحدات التي وقف بقربها فتحوّلت إلى لغته.

- "نبات الزّجاج على سطح نجم نيوتروني"

ثمّ التفت إلى الكيان متسائلاً.

- كيف يمكننا البحث عن شيء محدّد هنا؟

استمرّ الكائن في التّفرّس في وجه سين إلى أن لاحظت سنا ذلك.

- البحث. لا يجرفكما الفضول فتقومان بقراءة عناوين الكتب بشكل عشوائي. بالتّأكيد لدينا خاصية بحث لكنها قديمة نوعاً ما. كما قلت منذ قليل أنّ هناك بعض المشاكل واجهناها بسبب ضغط الوحدات لذا تأخّر مسح الوحدات قليلاً. الآلة القديمة تحتوي على آخر نسخة من فهرس المكتبة. خمسة بالمائة فقط من المكتبة تمّ جردها وفهرستها لذا لا تعوّلا كثيراً عليها.

- أين هي الآلة القديمة؟

- لا يمكنكما الوصول إليها لكن يمكنكما الوصول إلى طرفيّتها في هذا القطاع. من مكانكما هذا اتّجها جنوباً حتى تصِلا إلى برج الطّرفيّة، ستعرفانه لأنّه مختلف عن الرّفوف.

سنا وسين يحاولان تجاهل كلّ هذا الكمّ من الدّهشة فلا أمل لهما بفهم أي شيء. ربّما على الأقلّ حاليّاً. لكن لم يستطيعا كتمان الفضول والنّظر إلى هذه الصّفوف من اللانهاية المعرفيّة. بالنّظر إلى حجم هذه المكتبة فإنّ ما تمّ تسجيله هنا هو رصد لأحداث كانت وستكون.

- عزيزَيّ، المكتبة تحفظ القليل فقط من آثار الحياة التي وُجدت في الكون المحلّي، والقليل من تلك الوحدات تصف الأشياء في حدود الوجود المعروف. لكن يجدر بي التّنويه إلى أنّ هذه المكتبة واحدة فقط من أصل تسعة ترليون مكتبة أخرى. كلّ مكتبة من المكتبات تحتوي معارف خاصّة بالكون الذي يحتويها، لكن لا يمنع هذا من أن تتواجد وحدات تصف أكواناً أخرى.

نظر سين إلى سنا، ثمّ نظر إلى الكيان ليشكو ما يدور في عقله.

- إن كانت المكتبة تحتوي معارف كثيرة جداً فلابد أن تحتوي على شيء يصلح تلك الممرّات، أقصد مرايا الوجود.

يبدو أنّ الكيان جامع المعرفة كان ينتظر هذا السّؤال وقد حان وقته كما يبدو.

- هل تعلم لمَ قاموا بتسميتها مرايا؟ لأنّها نسخ طبق الأصل من الممرّات الأصلية، والممرّات الأصلية اندثرت منذ حِقب كثيرة ولا أحد يعرف من صنعها أو كيف تمّ صنعها، ثمّ دعني أخبرك شيئاً آخر، المرايا صنعت من قِبل صانع الممرّات الأصلي، ومشكلة الممرات الأصليّة تنطبق على المرايا بحدّ ذاتها. يمكنني القول بكلّ حريّة أنّ المكتبة عُزلت تماما مثل بقيّة المكتباتً ونحن عالقون هنا إلى الأبد. لكن دعوني أخبركم شيئاً آخر أيّ شيء خارج المكتبة وما يحيط بها غير موجود.

نعم هذا ما كان ينقص الجميع، ألغاز أخرى.

انتهز الكيان فرصة الصّمت هذه وراح يتلو فلسفته التّي انتهلها من كلّ هذا الكمّ من المعرفة.

- الوجود موجود ببساطة ولا يحتّم على نفسه أيّ قوانين أو ضوابط. كلّ الكائنات تتطلّب بيئات وقوانين إلاّ كلّ الوجود. اللانهاية تتطلّب البساطة والإغراق في التّجريديّة الأبديّة.

بالطّبع لم يبدً أي اهتمام من طرف الشّابين، ولكم أن تتخيّلوا السّبب!

مرّت عدّة ساعات أرضيّة في المكتبة، وقد تحامل التعب والإعياء على البشريين وسقطا بكلّ جلالهما عليهما.

- سين، ذاك هو برج الطّرفيّة ربّما سنصل إن تحمّلنا قليلاً.

- لماذا نقوم بهذا؟ نحن على حافة الموت في مكان غير موجود أصلاً وإشباع فضولنا شيء لا طائل منه.

- سنموت، لكن سنعرف الكثير عن كلّ شيء، ما علينا إلاّ أن نبحث.

كان الإستلقاء كالمغمي عليه مغرياً بسبب التّعب الشّديد والجوع والعطش.

- ربّما أريد أن أفنى في هذا النسيان، واصلي من دوني فلا يحقّ لي أن أطلب إليك البقاء، ولكنني أعترف أنّني أريد هذا كآخر شيء لي.

نظرت سنا إليه، ثمّ قامت بحمله بصعوبة. لم تجدِ محاولتها شيئاً فقط سقطت سريعاً.

بعد ساعة أخرى مرّ جامع المعرفة عليهما وقد تأسّف قليلاً لمَا أصابهما، لكنّه كان مشغولاً بالتّفكير في الأمر الذي استدعته الآلة القديمة من أجله. بحسبه، لم تقم الآلة بشيء كهذا من قبل.

- يا جامع المعرفة لن تصدّق ما وجدت عندما كنت أقوم بجرد وفهرسة قطاع يعاني من مشكلة ضغط.

- ماذا وجدتِ؟

- لم تكن مشكلة الضّغط... مشكلة ضغط من الأساس على الإطلاق!

صمتت الآلة القديمة، وصمت الكيان منتظراً تكملة للحديث.

- إذاً!؟

- لقد كانت مشكلة معرفة، تلك القطاعات تشترك في شيء واحد، معرفة الصّانع كلّها موجودة هناك. الصّانع، هل تعرف ما معنى هذا؟ وانظر ماذا وجدت.

نظر الكيان إلى تقرير الجرد. كانت المعرفة حول الممرات الأصلية ونسخها كثيفة جدّا، حتى أن أنظمة الضّغط لم تتعامل معها بشكل صحيح.

- مخطط الممرات الأصلية، الحياة، الوعي. هذه المعارف لم تندثر. يجب أن يراها من لديه القدرة على تطبيقها.

نظر الكيان إلى الآلة للحظات.

- نحن الآن معزولون عن الوجود، المكتبة خارج الوجود، ولا وجود أصلا للوجود. منذ اختفاء الممرّات والمرايا فنحن لم نكن يوماً ولن نكون. لقد اندثرت معرفة هذا الكون منذ انفصلنا عنه بشكل كامل، وآخر تواصل لنا معه كانا هذان الاثنان، نحن الآن بقعة مضيئة تلاشت للأبد.